تفسير إبن كثير

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ

وقوله : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) : يقول تعالى مخبرا عن نبيه محمد صلى االله عليه وسلم : أنه ما علمه الشعر ، (وما ينبغي له) أي : وما هو في طبعه ، فلا يحسنه ولا يحبه ، ولا تقتضيه جبلته ; ولهذا ورد أنه ، عليه الصلاة والسلام ، كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم ، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه .وقال أبو زرعة الرازي : حدثت عن إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشعبي أنه قال : ما ولد عبد المطلب ذكرا ولا أنثى إلا يقول الشعر ، إلا رسول االله صلى االله عليه وسلم . ذكره ابن عساكر في ترجمة " عتبة بن أبي لهب " الذي أكله السبع بالزرقاء .قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن - هو البصري - قال : إن رسول االله صلى االله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت :كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيافقال أبو بكر : يا رسول االله :كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياقال أبو بكر ، أو عمر : أشهد أنك رسول االله ، يقول االله : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) .وهكذا روى البيهقي في الدلائل : أن

رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : للعباس بن مرداس السلمي : " أنت القائل :أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة " . 50 فقال : إنما هو : " بين عيينة والأقرع " فقال : " الكل سواء " .يعني : في المعنى ، صلوات االله وسلامه عليه .وقد ذكر السهيلي في " الروض الأنف " لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه ، عليه السلام ، في هذا البيت مناسبة أغرب فيها ، حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري ; لأنه ارتد أيام الصديق ، بخلاف ذاك ، واالله أعلم .وهكذا روى الأموي في مغازيه : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم جعل يمشي بين القتلى يوم بدر ، وهو يقول : " نفلق هاما . . . . " .فيقول الصديق رضي االله عنه متمما للبيت :. . . . . من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماوهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له ، وهي في الحماسة .وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا مغيرة ، عن الشعبي ، عن عائشة ، رضي االله عنها ، قالت : كان رسول االله صلى االله عليه وسلم إذا استراث الخبر ، تمثل فيه ببيت طرفة :ويأتيك بالأخبار من لم تزودوهكذا رواه النسائي في " اليوم والليلة " من طريق إبراهيم بن مهاجر ، عن الشعبي ، عنها . ورواه الترمذي والنسائي أيضا

من حديث المقدام بن شريح بن هانئ ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي االله عنها ، كذلك .

ثم قال الترمذي . هذا حديث حسن صحيح .وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أسامة ، عن زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول االله صلى االله عليه وسلم يتمثل من الأشعار :ويأتيك بالأخبار من لم تزودثم قال : رواه غير زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن عائشة .وهذا في شعر طرفة بن العبد ، في معلقته المشهورة ، وهذا المذكور [هو عجز بيت] منها ، أوله :ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزودويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعدوقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الحافظ ، حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم - وكيل المتقي ببغداد - حدثنا أبو محمد عبد االله بن هلال النحوي الضرير ، حدثنا علي بن عمرو الأنصاري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، رضي االله عنها ، قالت : ما جمع رسول االله صلى االله عليه وسلم بيت شعر قط ، إلا بيتا واحدا .تفاءل بما تهوى يكن فلقلما يقال لشيء كان إلا تحققاسألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي عن هذا الحديث ، فقال : هو منكر . ولم

يعرف شيخ الحاكم ، ولا الضرير .وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة : قيل لعائشة : هل كان رسول االله صلى االله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل أوله آخره ، وآخره أوله . فقال أبو بكر ليس هكذا . فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إني واالله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي " . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وهذا لفظه .وقال معمر عن قتادة : بلغني أن عائشة سئلت : هل كان رسول االله صلى االله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت : لا إلا بيت طرفة :ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزودفجعل يقول : " من لم تزود بالأخبار " . فقال أبو بكر : ليس هذا هكذا . فقال : " إني لست بشاعر ، ولا ينبغي لي "وثبت في الصحيحين أنه ، عليه الصلاة والسلام ، تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد االله بن رواحة ، ولكن تبعا لقول أصحابه ، فإنهم يرتجزون وهم يحفرون ، فيقولون :اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينافأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقيناإن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبيناويرفع صوته بقوله : " أبينا " ويمدها . وقد روي هذا بزحاف في الصحيح أيضا . وكذلك ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة ، يقدم

بها في نحور العدو :أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلبلكن قالوا : هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر ، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه .وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد االله قال : كنا مع رسول االله صلى االله عليه وسلم في غار فنكبت أصبعه ، فقال :هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل االله ما لقيتوسيأتي عند قوله تعالى : (إلا اللمم) [النجم : 32] إنشاد :إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألماوكل هذا لا ينافي كونه صلى االله عليه وسلم ما علم شعرا ولا ينبغي له ; فإن االله تعالى إنما علمه القرآن العظيم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [فصلت : 42] . وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ، ولا كهانة ، ولا مفتعل ، ولا سحر يؤثر ، كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال . وقد كانت سجيته صلى االله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعا وشرعا ، كما رواه أبو داود قال :حدثنا عبيد االله بن عمر ، حدثنا عبد االله بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري ، عن عبد الرحمن بن رافع التنوخي قال : سمعت عبد االله بن عمرو يقول : [سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول] : ما أبالي ما أوتيت إن أنا

شربت ترياقا ، أو تعلقت تميمة ، أو قلت الشعر من قبل نفسي " . تفرد به أبو داود .وقال الإمام أحمد ، رحمه االله : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن الأسود بن شيبان ، عن أبي نوفل قال : سألت عائشة : أكان رسول االله صلى االله عليه وسلم يتسامع عنده الشعر ؟ فقالت : كان أبغض الحديث إليه . وقال عن عائشة : كان رسول االله صلى االله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ، ويدع ما بين ذلك .وقال أبو داود : حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه ، عن النبي صلى االله عليه وسلم : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ، خير له من أن يمتلئ شعرا " . تفرد به من هذا الوجه ، وإسناده على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .وقال الإمام أحمد : حدثنا بريد ، حدثنا قزعة بن سويد الباهلي ، عن عاصم بن مخلد ، عن أبي الأشعث ، الصنعاني (ح) وحدثنا الأشيب فقال : عن ابن عاصم ، عن [أبي] الأشعث عن شداد بن أوس قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة ، لم تقبل له صلاة تلك الليلة " .وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة . والمراد بذلك نظمه لا إنشاده ، واالله أعلم . على أن

الشعر فيه ما هو مشروع ، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد االله بن رواحة ، وأمثالهم وأضرابهم ، رضي االله عنهم أجمعين . ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب ، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي صلى االله عليه وسلم : " آمن شعره وكفر قلبه " . وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي صلى االله عليه وسلم مائة بيت ، يقول عقب كل بيت : " هيه " . يعني يستطعمه ، فيزيده من ذلك .وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب ، وبريدة بن الحصيب ، وعبد االله بن عباس ، أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما " .ولهذا قال تعالى : (وما علمناه الشعر) يعني : محمدا صلى االله عليه وسلم ما علمه االله شعرا ، (وما ينبغي له) أي : وما يصلح له ، (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) أي : ما هذا الذي علمناه ، (إلا ذكر وقرآن مبين) أي : بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره . ولهذا قال :